الصليبيون والبحـــر الأحمـــر
في العهد الأيوبي والمملوكي

* د. راغب حامد البكر

تمهيـــــد:

تعد السياسة التوسعية الصليبية في المنطقة العربية من أبرز الدلائل التي تؤكد أن الحركة الصليبية حركة استعمارية قام بها الغرب الأوربي لغرض تحقيق مآربه الإستعمارية، ومن بينها الهيمنة على التجارة الدولية من خلال السيطرة على المنافذ التجارية الرئيسية، لاسيما وأن البحر الأحمر كان الجسر الذي يربط بين تجارة الشرق الأقصى وأوربا منذ أقدم الأزمنة.

وعلى الرغم من محاولة المؤرخين الأوربيين المعاصرين منهم والمحدثين طمر حقيقة الحركة الصليبية من خلال التستر وراء الشعارات الدينية التي تقول أن غرض الغرب الأوربي آنذاك هو مساعدة أخوانهم البيزنطينيين، وإستعادة الأراضي المقدسة في فلسطين (مملكة المسيح) وعلى هذا فقد عدوا الحروب الصليبية حربا عادلة ومقدسة [1].

أن النظرة الموضوعية للأحداث التي رافقت الحروب الصليبية تكشف لنا منذ البدء زيف تلك الإدعاءات التي روج لها الغربيون، فالأفعال الشائنة التي قام بها الصليبيون أثناء إجتيازهم الأراضي البيزنطينية والمتمثلة بأعمال القتل والسلب والنهب التي لم تنج منها حتى كنائس القسطنطينية ذاتها [2] وإنشغال بعض قادة الحملة الصليبية الأولى بتأسيس إمارات لهم بأعالي بلاد الشام وتخليتهم عن مواصلة الزحف تجاه القدس لدليل آخر على ما كانوا يحملونه من نزعة إستعمارية توسعية، ومما يؤكد هذه النزعة إستمرارهم على هذا النهج بعد تحقيقهم لهدفهم المعلن والمزعوم والمتمثل بإحتلال القدس، إذ عبرت سياساتهم فيما بعد عن حقيقية أطماعهم في فرض الهيمنة على المنطقة وإستنزاف إمكاناتها الإقتصادية، وفي مقدمة ذلك السيطرة على منافذ التجارة الدولية التي كانت آنذاك تخضع للسيادة العربية

---

* دكتور في قسم التأريخ / كلية الآداب / جامعة الموصل.

الإسلامية، وهذا يفسر لنا إلى حد كبير السبب الذي كان وراء الإستجابة السريعة للمدن التجارية الإيطالية لدعوة البابا أوربان الثاني للمساهمة في الحروب الصليبية وما ترتب على تلك المساهمة من إمتيازات تجارية حصلت عليها في المناطق التي أستولى عليها الصليبيون[٣].

الأهمية التأريخيـــة والإقتصادية للبحر الأحمر:-

يعد البحر الأحمر - ومنذ أقدم العصور - شريانا حيويا للمواصلات وسيلة للتبادل التجاري والحضاري بين البلدان المحيطة به من جانب، وبينها وبين بلدان الشرق الأقصى وبلدان الغرب من جانب آخر. وكان يطلق على البحر الأحمر طريق البخور منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وتعد تجارة البخور والطيب من أهم السلع التجارية آنذاك لكثرة إستخدامها في المعابد ووالكنائس والقصور في مدن حوض البحر المتوسط، وإزدهرت تجارة البحر الأحمر آنذاك نتيجة لأزدياد الطلب على التوابل والحرير وغيرها من المنتجات الشرقية من قبل الأمبراطورية الرومانية [٤].

ولقد أدرك الرومان الأهمية الإقتصادية للبحر الأحمر منذ إحتلال مصر عام ٣٠ق.م فأصبحت سفنهم تمخر عباب البحر حتى قاربت غداة الإحتلال (١٢٠) سفينة [٥]، وكان هذا بمثابة إعلان قيام سيادة روما على البحر الأحمر، وأدركوا كذلك أهمية بلاد الحجاز فأخذوا يتطلعون للسيطرة على الطريق التجاري الى الهند عبر البحر الأحمر وذلك بالإستيلاء على اليمن التي كانت نقطة الإتصال بين الهند ومصر وبلاد الشام والعراق، واستغل الرومان تبعية شمال الحجاز للأنباط وسيروا حملتهم بقيادة اليوس جالوس في سنة ٢٤ ق.م [٦]، أستعانوا فيها بأدلاء من الأنباط، إلاّ أن تلك المحاولة منيت بالفشل بسبب تضليل الإدلاء الذين رافقوا الحملة إذ كانت تربطهم مع المبنيين علاقة تجارية قوية [٧]، هذا فضلا عن مقاومة أهالي اليمن لهذه الحملة، ثم جرت محاولة ثانية من قبل البيزنطينيين عندما حاولوا بسط نفوذهم على التجارة الموصلة الى المحيط الهندي من خلال السيطرة على الطريق التجاري بين اليمن والحجاز عن طريق حلفائهم الأحباش الذين أحتلوا

اليمن عام ٥٢٥م، وقد رجح جواد علي أن المصالح السياسية والتجارية للرومان والأحباش هي

التي كانت وراء حملة ـــ التي هاجمت مكة عام ٥٧٠م.

وقد اثار إحتلال الأحباش خلفاء البيزنطينيين لليمن قلق ومخاوف الفرس الذين كانوا يطمحون بالإنفراد بتجارة الشرق الأقصى، فلما أستنجد بهم أهل اليمن سارعوا بأرسال حملة أستولت على اليمن وطردت الأحباش والبيزنطينيين [٩]. وبذلك أصبح البحر الأحمر ميدان صراع بين قوتين: الفرس الذين سيطروا على الركن الجنوبي الشرقي منه والبيزنطينيين الذين سيطروا على الساحل الغربي منه ويستمر هذا الصراع حتى مجيء الإسلام الذي أسدل الستار عليه [١٠].

بظهور الإسلام بدأت صفحة جديدة في تاريخ البحر الأحمر وأصبحت السيادة فيه للعرب لقرون عديدة وأدركت السلطات العربية أهمية التجارية الآنفة الذكر بالإضافة لأهمية من ناحية أعتباره طريق الحج الى الحرمين الشريفين مكة والمدينة المنورة وعلى هذا حرصت السلطات العربية على الحفاظ على أمنه من خلال عدم السماح للأوربيين بالإطلاع على أسرار تجارته والملاحة فيه، ومما يؤكد هذا أن الخليفة هارون ارشيد فكر أن يشق ترعة تصل البحرين المتوسط والأحمر، إلا أنه عدل عن فكرته عندما قيل له أن الرومان سيتخذون من ذلك منفذا لأرسال حملات ضد مكة والمدينة وقطع طريق الحج [١١]، كذلك أخذت السلطات الإسلامية على عاتقها القضاء على أعمال القراصنة التي كان يقوم بها الأحباش [١٢] ، وهكذا أصبح البحر الأحمر آمنا لفترة طويلة ولم يحدث ما يعكر هدوءه حتى مجيء الصليبيين.

الصليبيون والبحر والأحمر:-

شهد البحر الأحمر نشاطا مميزا خلال الفترة التي سبقت الحروب الصليبية وأبانها ويعزى هذا النشاط إلى أن طريق التجارة البري الممتد من الصين إلى موانئ البحر الأسود وأوربا كثيرا ما عانى من عدم إستقرار خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وذلك بسبب ظهور القبائل التركمانية على مسرح الأحداث السياسية هناك [١٣]،

وأدت الإضطرابات السياسية التي حدثت في جنوب العراق والخليج العربي الى تعطيل طريق التجارة بين الخليج العربي والمحيط الهندي مما أضعف دور بغداد التجارى والتي كانت بمثابة محطة تجارة كبرى لسلع الشرق الأقصى في طريقها إلى موانئ بلاد الشام والقسطنطينية ثم الغرب [١٤] وأدت هذه الأحداث إلأى أن تعتمد التجارة الدولية في الفترة التي نحن بصدد دراستها على البحر الأحمر وموانئ مصر.

كانت أيلة (العقبة) والقلزم [١٥] واحدة من الموانيء التجارية المهمة على البحر الأحمر، ولا غرو فقد كانت أيلة والقلزم المنفذين الرئيسيين وبالعكس [١٦]، وترجع أهميتها هذه إلى كونها محطتان للحجاج المسلمين الذين كانوا يقدمون عن طريق أيلة والقلزم أو عن طريق عيذاب[١٧] وسواكن [١٨]، كذلك اشتهرت عدن بالتجارة لموقعها على مدخل البحر الأحمر الجنوبي[١٩]، ومن الملاحظ أن ميناء عيذاب لعب دورا هاما في التجارة الفاطمية الى الجنوب بسبب اشتداد النزاع بين الفاطميين والسلاجقة ثم أستيلاء الصليبيين على أيلة [٢٠].

أدرك الصليبيون بعد احتلالهم للقدس سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م الأهمية البالغة للبحر الأحمر بالنسبة للتجارة الدولية، فأخذوا يتطلعون للنفاذ إليه والتحكم به، ولا ريب أن هذا الهدف كان من بين الأسباب الرئيسية للحملات الصليبية إلى مصرلغرض الإستيلاء عليها والهيمنة بالتالي على تجارة البحر الأحمر بإعتبار أن مصر كانت آنذاك المحطة الكبرى لتجارة الشرق الأقصى في طريقها الى أوربا [٢١].

يعد بلدوين الأول ملك بيت المقدس واضع الحجر الأساس لسياسة التوسيع الصليبي تجاه البحر الأحمر إذ وجه أهتمامه نحو الأقليم الواقع بين البحر الميت وخليج العقبة، ففي سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م أستولى على أيلة التي أشتهرت بميناءها التجاري الواقع على خليج العقبة المطل على البحر الأحمر، ومن المعروف أن أيلة أشتهرت بنشاطها التجاري منذ أقدم العصور فكانت ديوانا للمكوس التي تفرض على البضائع القادمة من اليمن والهند والصين،

كما أنها تحتكم في طريق الحج المصري والشامي [٢٣]، ثم أقلع بلدوين الى جزيرة قرقزن[٢٤] وجعل في كلا الموضعين حاميتين مزودتين بالمراكب وأنشأ في كل منها قلعة محصنة [٢٥]، وبهذا العمل حقق الصليبيون هدفين مهمين: الأول وهو إقامة حاجز مانع بين بلاد الشام ومصر، والآخر هي أطلالتهم على البحر الأحمر مما يوفر لهم فرصة التدخل والتأثير على تجارته.

أستمر نفوذ الصليبيين على المسالك التجارية المؤدية للحجاز للفترة الواقعة بين ٥١٠ ـ ٥٨٥هـ/ ١١١٦ ـ ١١٨٩م [٢٦]، فكانوا خلال هذه الفترة يهددون التجارة العربية وأصبحوا مصدر خطر وإزعاج على سواحل مصر والسودان وبلاد الحجاز، ويتضح هذا من خلال الرسالة [٢٧] التي بعث بها صلاح الدين الأيوبي الى الخليفة العباسي ببغداد موضحا فيها الضرر الناجم عن إحتلال الصليبيين لأيلة وأتخاذها قاعدة لأعمالهم العدوانية تجاه الأماكن الآنفة الذكر، التي كانت تعاني من إهمال الفاطميين لها في الفترة الأخيرة من حكمهم.

تجدر الإشارة الى أن صلاح الدين أدرك منذ بداية حكمه لمصر سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م أهمية إعادة بناء القوة البحرية لمصر للوقوف بوجه العدوان الصليبي [٢٨]، وعندما شعر بالخطر الصليبي الذي يهدد أمن البحر الأحمر أمر بصناعة مراكب حربية مفصلة في دور صناعة السفن في الفسطاط وأمر بنقل أجزائها على الجمال الى ساحل البحر الأحمر حيث تم تركيبها وشحنها بالرجال وأدوات القتال ثم مضى الى أيلة وحاصرها برا وبحرا حتى تمكن من تحريرها سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م [٢٩] " وملأها بالعدد والعدد، وحصنها بأهل الجلاد والجلد " [٣٠] لغرض تأمين طريق التجارة والحج، ويذهب أحد المؤرخين [٣١] الى القول بأن صلاح الدين عندما وجه أخاه تورانشاه الى اليمن سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م كان الهدف من ذلك هو السيطرة على مداخل البحر الأحمر وحماية تجارته وحجاجه من الخطر الصليبي في سيناء وجنوب فلسطين، وأ، الأحداث التي جرت في المنطقة تؤكد الى حد ما صحة هذا الرأي.

أستغل الصليبيون حالة الفوضى السياسية التي عمت بلاد الشام أثر وفاة نور الدين زنكي سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م وإنشغال صلاح الدين بذلك [٣٢] بمحاولة أستهدفت تحقيق غرضين خطيرين:

أولا:- ضرب العرب في الصميم وذلك بغزو للحرمين الشريفين مكة والمدينة وقطع طريق الحج.

ثانيا:- محاولة الهيمنة على تجارة البحر الأحمر بالإستيلاء على أيلة وعيذاب في شمال البحر الأحمر وعدن في الجنوب.

وكان رينالد شايتون (ارناط) أمير أقطاع الكرك [٣٣] صاحب الفكرة والمنفذ لها. وعرف رينالد بشدة حقده وعدائه للإسلام والمسلمين وكذلك حبه للمغامرة فوصفه أبو شامة [٣٤] بانه " أغدر الفرنجة، وأخبثها وأفحصها عن الردى والرداءة، وأبحثها وانقضها للمواثيق المحكمة والإيمان المبرمة، وأنكثها وأحنثها " وكان رينالد حين تملك حصن إقطاع الكرك الذي كان يتمتع بأستيراتيجية هامة سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٧م أخذ يقترف أعمالا جائرة تجاه القوافل التجارية المارة بالقرب من حصنه وهي في طريقها بالقرب من بلاد الشام إلى مصر وبالعكس.

ويبدو أن حياة الأسر التي أمضاها رينالد في دمشق زمن نور الدين زنكي ثم بيعه في حلب كان سبب حقده وعدائه للمسلمين [٣٦].

نقل رينالد نشاطه العدائي تجاه المسلمين خارج حدود أقطاعه سنة ٥٧٥هـ/١١٨١م عندما أنتهك الهدنة التي كانت معقودة بين المسلمين والصليبيين عندما خرج على رأس قوة من رجاله حتى وصل الى تيماء الواقعة في منتصف الطريق بين الأردن والمدينة المنورة [٣٧] والتي وصفها صلاح الدين في إحدى رسائله للخليفة العباسي بأنها (دهليز المدينة) [٣٨]، وكان يهدف من وراء هذه الحملة مهاجمة المدينة المنورة، ولكن عزالدين فرفشاه الذي كان صلاح الدين قد أستنابه بدمشق ما أن بلغه ذلك حتى جهز العساكر بدمشق وهاجم إقطاع الكرك مما جعل رينالد يعدل عن فكرته ويعود إلى الكرك للدفاع عن ممتلكاته [٣٩].

والواقع أن ـــ العداء للإسلام التيتأصلت في ذات رينالد جعلته يزداد إصرارا على تنفيذ فكرته التي لخصها العماد الأصفهاني [٤٠] بقوله: " كان للفرنج مقصدان، أحدهما قلعة

أيلة التي هي على فوهة بحر الحجاز ومداخله والآخر الخوض في هذا البحر الذي تجاوره بلادهم في ساحله "، فمهد لحملته المقبلة بمناوشات حاول خلالها مهاجمة أيلة ولكن حاميتها تمكنت من صده عندئذ أعد رينالد سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م مراكب مفصلة من أخشاب غابات الكرك ثم نقلها على ظهور الجمال بواسطة بعض البدو إلى خليج العقبة [٤٢]، حيث ركبت هناك وأصبح الأسطول الصليبي يتكون من خمسة سفن كبيرة مطلية بالدهان الأسود لغرض التمويه وعدد كبير من المواكب الصغيرة، وينفرد بن أبي الدم [٤٤] بذكر عددهم قائلا: أنها كانت مشحونة بألف وخمسمائة فارس وعدد من القراصنة المحليين ومعدات الحرب [٤٥]، وأبحر الأسطول الى جزيرة أيلة وهاجمها، الا أنه عجز عن أحتلالها نظرا لقوة تحصيناتها وإستبسال المدافعين فيها، ولما عجز عن بلوغ هدفه أبقى رينالد سفينتين تحاصرانها وتمنع أهلها الماء والمؤن [٤٦]، وسار ببقية قواته جنوب عيذاب على الساحل الغربي للبحر الأحمر [٤٧]، فقتلوا وأسروا وأحرقوا في بحر القلزم نحو ـــ عشرة ـــ [٤٨]

ثم نزل الصليبيون على بحر عيذاب وهاجموا قافلة كبيرة من الحجاج فقتلوا كافة أفرادها كانت قادمة من قوص إلى عيذاب، وأخذوا من عيذاب الميرة النعد أرسالها إلى الحرمين الشريفين، ثم واصل الأسطول الصليبي سيره في البحر الأحمر وهاجم سواحل تهامة واليمن، وأحرق كافة السفن التي قابلها في طريقه وأثارت أعماله الخوف والهلع في نفوس الناس هناك [٤٩]، ويصف أبن ألأثير [٥٠] الحالة بقوله: " وبغتوا الناس في بلادهم على حين غفلة منهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجيا قط لا تاجرا ولا محاربا " .

وهكذا أصبح الأسطول الصليبي مسيطرا على البحر الأحمر قرابة السنة [٥١]، ويبدو أن ثقل أحمالهم بما غنموه من أموال وأسرى جعلهم يبحرون ثانية إلى ساحل الحجاز لغرض تنفيذ هدفهم الآخر وهو أنتهاك حرمة المسلمين لأقدس مقدساتهم بهدم الكعبة والعبث بقبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ [٥٢].

إرتاع المسلمون في المنطقة لهذا الحدث الخطير وثارت مشاعر الغضب والسخط في نفوسهم، هذا في الوقت الذي كان فيه صلاح الدين بدمشق فأرسل الى أخيه الملك العادل نائبه على مصر موضحا خطورة الموقف ويأمره بإعداد أسطول قوي في البحر الأحمر،

أسندت قيادته للحاجب حسام الدين لؤلؤ، وشحن هذا الأسطول ببحارة ومقاتلة من المغاربة المجاهدين الذين عرفوا بمهارتهم في قيادة السفن والملاحة في البحر [٥٣]، وكانوا على دراية بمقاتلة الفرنجة لمخالطتهم بهم في الأندلس وسواحل المغرب، وقد رأى حسام الدين أن عليه في بادئ الأمر القضاء على قوة الصليبيين في شمال البحر الأحمر بقطع إتصالهم بقواتهم في الجنوب. هذا في الوقت الذي كان فيه الصليبيون يضيقون الخناق على جزيرة أيلة فهاجمهم وأحرق سفنهم بواسطة النار الأغريقية فأسر وقتل عدد كبير منهم الى البر فقد وقع بعد ذلك يتعقب السفن الصليبية عند عيذاب لكنه لم يجد أثرا للأسطول الصليبي سوى ما تركه من آثار الدمار والخراب فيها [٥٥]، فتعقبهم في الوقت الذي أوغل فيه الصليبيون الى رابغ [٥٦]الميناء الحجازي القريب من مكة، ثم توجهوا نحو الشمال بعد أن تركوا امتعتهم على ساحل الحوراء [٥٧]، وساروا بإتجاه المدينة المنورة بقيادة رينالد مستعينين بأدلاء من البدو ومعهم ثلاثمائة رجل من فرسان الداوية [٥٨] الذين عرفوا بشدة حقدهم وكراهيتهم للمسلمين. وأخيرا أدرك حسام الدين الأسطول الصليبي راسيا في الحوراء فانقض عليه واحرقه بعد قضائه على القوة الصليبية التي كانت تتولى حراسته وأطلق سراح التجار ورد غليهم أموالهم، وأدرك ىنذاك حاجته للخيل لملاحقة رينالد وأتباعه فاستعان بخيول القبائل العربية القاطنة هناك لمطاردة الصليبيين [٥٩]، الذين كانوا يعانون من الحر الشديد والعطش [٦٠]، وأدركهم بعد مطاردة أستمرت خمسة أيام وهم على مسيرة يوم واحد من المدينة المنورة، وفوجيء رينالد بذلك فما كان منه إلا اللجوء مع بعض جنوده الى المرتفعات وطاردهم حسام الدين وتمكن من قتل وأسر معظمهم [٦١] ، بإستثناء رينالد فقد إتجه نحو الشمال وتمكن من الهرب بأعجوبة الى تبوك [٦٢] ، التي كان قد أبقى فيها قوة من جيشه لغرض منع أية محاولة تعرضية تقوم بها القوات الإسلامية تجاه حملته البحرية [٦٣] ، ومنها لجأ الى حصن الكرك يلعق جراحه ويفكر بمحاولة غادرة أخرى تجاه المسلمين.

أما بالنسبة للأسرى الصليبيين الذين كان عددهم مائة وسبعين رجل [٦٤]، فقد اقتادهم حسام الدين الى أسطوله وكان موسم الحج قد قرب فأرسل أثنين منهم ألى ـــ حيث نحرهما هناك كما تنحر البدن التي تساق إلى الكعبة [٦٥] وعاد بالأسرى الآخرين إلى مصر فكان دخوله القاهرة ومعه الأسرى يوما عظيما بالنسبة للمسلمين [٦٦].

وقد شاهد الرحالة أبن جبير [٦٧] أعداد كبيرة من كبيرة هؤلاء الأسرى أثناء تواجده في ألأسكندرية سنة ٥٧٨هـ /١١٨٣م يطاف بهم على ظهور الجمال بالمقلوب في شوارع الأسكندرية بين قرع الطبول والنقر على الأبواق ثم أعدموا جميعا جزاء لهم ورعا لمن تسول له نفسه الأعتداء على الحرمين الشريفين، ويذكر العماد الأصفهاني [٦٨] سببا آخر كان وراء أعدام هؤلاء الأسرى وهو أن صلاح الدين الأيوبي أوعز الى أخيه الملك العادل " بضرب رقابهم وقطع أسبابهم، بحيث لايبقى منهم عين تعرف ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر أو يعرف " ويتضح من هذا النص حرص السلطات العربية الإسلامية على عدم أطلاع الأوربيين على طرق وأسرار الملاحة والتجارة في البحر الأحمر.

أن محاولة رينالد مهاجمة موانئ البحر الأحمر ومحاولة الأعتداء على الحرمين الشريفين كان لها الأثر الكبير سياسة السلطات الإسلامية نحو منع التجار الأوربيين من مزاولة أي نشاط تجاري في البحر الأحمر [٦٩]، أي بعبارة أخرى أن السلطات المصرية عمدت إلى تقييد حرية الحركة بالنسبة للأوربيين حتى على موانئ مصر المطلة على البحر المتوسط حرصا منها على تشديد الرقابة على البحر الأحمر فعلى سبيل المثال هنالك رسالة وصلت إلى عدن من رجل من الأسكندرية خلال السنوات الأخيرة من حكم صلاح الدين يعبر فيها عن تفهمه للسبب الذي جعل المسؤول عن ميناء الأسكندرية ولمنعه من السفر الى عدن وذلك للأشتباه به كونه قدم الى الأسكندرية على ظهر قارب فرنجي [٧٠]. فضلا عن أن محاولة رينالد هذه أثارت مشاعر المسلمين وأزدادت الدعوة للجهاد، وحالت هذه المحاولى أيضا دون قيام أي تعاون بين ملوك بيت المقدس والأمراء المسلمين [٧١].

أثر فشل محاولة رينالد في التعرض للبحر الأحمر أدرك الصليبيون صعوبة تحقيق هدفهم في الهيمنة على ذلك البحر وتجارته طالما كانت هنالك سلطة قوية في مصر،

وهذا يفسر لنا إلى حد كبير تحول سير الحملات الصليبية من بلاد الشام الى مصر. وأن شذت عن هذا الأتجاه الحملة الصليبية الرابعة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م، وأتجهت الى القسطنطينية بدلا من مصر حسب ما كان مخطط لها من قبل البابوية فأن باقي الحملات أتجهت الى مصر منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي خاصة [٧٢]، وأن مصر وأن مصر قد أصبحت آنذاك مركز القوة العربية الإسلامية، وإنساقت اليها الأغراض التجارية للمدن التجارية الإيطالية، فصار من اليسير على هذه المدن أن تتصل من مصر الى البحر الأحمر وتجارته وتجارة المحيط الهندي [٧٣].

أمام الفشل الذريع الذي واجه دعاة الحركة الصليبية في إحتلال مصر والهيمنة على البحر الأحمر وظهور الأتجاه العلماني في سياسة المدن التجارية الإيطالية التي وجدت أن مصالحها التجارية تقتضي أن تكون لها علاقة إيجابية مع السلطات المصرية تضمن من خلالها الحصول على امتيازات تجارية تحقق لها أرباح طائلة [٧٤]، وبالمقابل انتبهت السلطات الإسلامية منذ عهد صلاح الدين الأيوبي وخلفائه للعوائد المالية الكبيرة المتحققة لها عن أزدهار التجارة مع المدن الإيطالية فشجعت تلك العلاقات [٧٥] وأنتبهت البابوية لهذا التحول الجديد وما يشكله من خطر على سياساتها فلجأت هي وحلفائها من زعماء الغرب الأوربي إلى أعتماد سياسة الحصار الأقتصادي على مصر وبلاد الشام، ولتحقيق هذه السياسة ينبغي إنشاء قوة بحرية لمراقبة سواحل مصر وبلاد الشام على البحر المتوسط[٧٧]، وذهبوا إلى أبعد من ذلك لأكمال فرض الحصار الأقتصادي عندما فكروا في السيطرة على البحر الأحمر لقطع تجارة العرب مع الشرق الأقصى. ولتنفيذ ذلك يستلزم على البابوية أمرين: الأول هو البحث عن حليف لها مع أحدى القوى الغير أسلامية الواقعة قرب المدخل الجنوبي للبحر الأحمر لتساعد الصليبيين وهي الحبشة لتنفيذ فكرتهم في الهيمنة على البحر الأحمر فهو البحث عن طريق جديد يوصلها الى الهند، وبالتالي القضاء على السيادة العربية لتجارة الشرق عبر البحر الأحمر [٧٨].

أن فكرة أشتراك الأحباش في المشروع الصليبي الهادف للسيطرة على البحر الأحمر وتجارته ومهاجمة مصر في الفترة المتأخرة للحروب الصليبية لم تكن وليدة الصدفة

فقد أنتبهت السلطات الإسلامية لذلك فتوجه صلاح الدين الى اليمن كما ذكر أنفا كان بمثابة إجراء وقائي لأي خطر يتهدد المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، والواقع ان وجود جالية من الأحباش مقيمة في بيت المقدس ووجود دير لهم في تلك المدينة على إتصال دائم بدولة الحبشة أمر له أهميته من حيث أطلاع ملوك الحبشة على أخبار الحروب الصليبية أول بأول [٧٩]، ولم يغب عن البابوية وأعوانها في غرب أوربا فكرة الأستفادة من الحبشة في إغلاق الباب الجنوبي للبحر الأحمر.

ويبدو أن البابوية شجعت فكرة اشراك الحبشة بالمشروع الصليبي، ويتضح هذا من خلال الإتصالات التي أجرتها مع ملوك الحبشة من خلال مبعوثيها فتعود أولى الإتصالات الى سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م عندما أرسلت أحد رجالها ويدعى فيليب الى الحبشة حاملا معه رسالة الى مليكها بريستر يوحنا يلتمس منه المساعدة في قتال المسلمين على أن فيليب على ما يبدو أنهى رحلته من الحبشة من دون أن تحقق هذه الرحلة نتائج محسومة [٨٠]، فذكر أن الراهب الدومنيكاني وليم آدم الذي أختاره البابا نيقولا الرابع سنة ٧٥٠هـ/١٣٠٥م للتبشير في الشرق زار دولة مغول فارس وأنتقل الى عدن ثم الى الحبشة، ثم عاد الى أوربا سنة٧٠٥هـ/ ١٣١٦م [٨١]، وفي السنة ذاتها أرسل البابا يوحنا الثاني والعشرون سفارة من الدومنياك الى الحبشة ولكن رجالها وقعوا في قبضة المماليك، وهنالك سفارة أخرى واجهتها نفس المصير سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م [٨٢]، ويبدو أن سلاطين الممالك قد أنتبهوا لتلك الإتصالات بين الصليبيين وملوك الحبشة فأحتاطوا لذلك من خلال المراقبة الدقيقة للبحر الأحمر وعدم السماح للأوربيين بأجتيازه إلا بتصريح خاص من السلطان المملوكي [٨٣].

يبدو أن الإتصالات الآنفة الذكر قد شجعت ملوك الحبشة للسهام في المشروع الصليبي، فعندما بلغ ملك الحبشة بنبأ أغارة لوزجنان ملك قبرص على الأسكندرية سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م أعد جيشا كبيرا زحف به تجاه الشمال لمهاجمة دولة المماليك من الجنوب، ولكنه لم يكد يقترب من حدود مصر حتى علم بأنسحاب لوزجنان من الأسكندرية فقفل عائدا إلى بلاده بعد أن خسر أعداد كبيرة من جنده أثناء الأنسحاب [٨٤].

وجهت هنالك محاولة أخرى لمهاجمة مصر من لدن ملك الحبشة اسحق الأول سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م وبالتنسيق مع ملوك غرب أوربا، فقد أرسل ملك الحبشة تاجرا فارسيا وهو علي نور الدين التبريزي الذي غادر الحبشة إلى أوربا عن طريق مصر، وقد أبلغ التبريزي رسالة ملوك أوربا للقيام بعمل مشترك ضد مصر، وتم وضع خطة تنفيذ عمل عسكري تقويم بموجبه الأساطيل الأوربية بمهاجمة مصر من جهة الشمال وتهاجم الحبشة مصر من جهة الجنوب، وأثناء عودة التبريزي الى مصر في طريقه الى الحبشة وشى به أحد رفاقه فقبض عليه السلطان برسباى وقتله [٨٤]، وعلى الرغم من كثرة الإتصالات بين البابوية وملوك أوربا مع الحبشة للقيام بعمل عسكري يستهدف السيطرة على مصر والبحر الأحمر إلا أن المشاريع لم تأخذ طريقها نحو التنفيذ لبعد المسافة بين الحبشة وغرب أوربا من ناحية ووجود سلطة قوية في مصر تعيق وتحبط أية محاولة للإتصال العسكري المباشر بين الطريقين من ناحية أخرى، هذا بالإضافة الى أن الخلاف المذهبي مابين البابوية والحبشة حال دون قيام تحالف جدي بين الطرفين.

أما عن مسألة البحث عن طريق آخر يوصل الغرب الأوربي بتجارة الشرق الأقصى فقد تبنت البابوية هذا المخطط الصليبي وتحمست له وباركت البابوية عملية الأنخراط في الحملات البرتغالية، فكان البابا يعد المشتركين فيها بالنجاة من النار يوم الحساب، فكانت سفنهم تخرج وعلى أشرعتها ترسم إشارة الصليب، وكذلك على صدور الملاحين وعبر عما نؤيل ملك البرتغال عن أغراض ذلك المخطط بقوله: " أن الغرض من أكتشاف الطريق البحري ألى الهند هو نشر المسيحية والحصول على ثروات الشرق " [٨٥]. ويتضح من ذلك بأن هذا المخطط هو أمتداد للحملات الصليبية على بلاد الشام أو مصر وصفه آرنست باركر [٨٦] ، بانه يشكل الحرب الصليبية الأخيرة ".

كان للبرتغال الدور الرائد في أكتشاف رأس الرجاء الصالح " رأس العواصف " الأسم المتعارف عليه قبل أكتشافه، فقد تمكنوا وبمساعدة البحارة والجغرافيين الجنوبيين من الوصول الى القمة الجنوبية لأفريقيا والدوران حولها سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م، وبذلك أصبح الطريق ممهدا للوصول الى الهند [٨٧]، وبعد هذه الخطوة بإثنتي عشرة سنة أرسلت البرتغال

البرتغال حملة بحرية بقيادة فاسكو داجاما الذي أستطاع الدوران حول رأس الرجاء الصالح والوصول الى الهند سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م، وبعد أن ثبتت أقدام البرتغاليين في الهند مرة ثانية في المحيط الهندي خاصة بعد عودة فاسكوداجاما الى الهند مرة ثانية بحملة كبيرة سنة٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، وحاول فرض الهيمنة على البحر الأحمر، فقد خمسة سفن من أسطوله بصفة دائمة في مياه المحيط الهندي لحماية المحطات التجارية البرتغالية فيه ولسد المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وإبعاد العرب عن تجارة الهند [٨٨]،فعملوا على مهاجمة السفن العربية التي تحاول الخروج من البحر الأحمر أو الدخول عليه، وكان بمثابة تهديد خطير للسيادة العربية الإسلامية على البحر الأحمر وعلى تجارته مع الشرق [٨٩]، على الرغم من محاولات المماليك لدرء هذا الخطر الا أنهم عجزوا عن ذلك [٩٠]، وكانت معركة ديو البحرية على ساحل ملبار سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م التي أحرز فيها البرتغاليون نصرا حاسما على المماليك [٩١]، فقد أنهت تلك المعركة السيطرة العربية الإسلامية على الطريق التجاري البحري على الهند وتضاءلت الأهمية التجارية للبحر الأحمر [٩٢]، وبذلك أنتهت صفحة الصراع على البحر الأحمر لصالح الأوربيين الصليبيين ولنبدا صفحة جديدة في العصر الحديث لأنزال نعيشر أحداثها اليوم، فإذا كان البحر الأحمر طريق التوابل والبخور بالأمس، فاليوم أصبح طريق ناقلات النفط عبر قناة السويس ومجالا لغرض الهيمنة الأمبريالية على المنطقة العربية.

الهوامـــــش:-

(١) قاسم عبدة قاسم: ماهية الحروب الصليبية (الكويت ١٩٩٠)، ص٣٥.

(٢) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: حسن حبشي (القاهرة:١٩٥٨)، ص١٩.

(٣) Setton , K.K.A History of the Crusades, (Pennsyl / Vania, 1958) Vol.I.P.252;

مصطفى حسن الكناني: العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي، (بيروت ١٩٨١)، ص٧٩.

(٤) نيقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب (بيروت ١٩٦٢)، ص٢١٥. للمزيد من المعلومات عن تجارة الشرق، أنظر: شوقي عبد القوى عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (الكويت ١٩٤٠)، ص٢١٤ ـ ٢٢٦.

(٥) سيد احمد علي الناصري: الرومان والبحر الأحمر، مجلة الدارة، ع٢، الرياض ١٩٨٨، ص٢٢.

(٦) عبد العزيز سالم: تأريخ الدول العربية (الأسكندرية ١٩٧٤)، ص١٣.

(٧) الناصري: الرومان والبحر الأحمر، ص٢٥ ـ ٢٦.

(٨) المفصل في تأريخ الغرب قبل الإسلام (بيروت ١٩٧٨)م / ٥١٧ ـ ١٨ .

(٩) الطبري: تأريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل (بيروت،بلا سنة طبع)، ١٣٩/٢ ـ ١٤٢.

(١٠) الناصري: الرومان والبحر الأحمر، ص ٤٤.

(١١) السيوطي: تأريخ الخلفاء أمراء المؤمنين عن القائمين بأمر الأمة (القاهرة، ١٣٥١هـ)، ص١٨٩.

(١٢) سعاد ماجد: البحرية في مصر الإسلامية (القاهرة ١٩٦٧)، ص٦٥، محمد كريم إبراهيم: جزر دهلك في البحر الأحمر، مجلة الخليج العربي، ع٢١، جامعة البصرة ١٩٨٩، ص١٢٥.

(١٣) رنسيمان: تأريخ الحروب الصليبية (بيروت ١٩٦٧)، ٩٢/١.

(١٤) Cahen, C.La Syrie. du Nerd ale poque des Croisadeset La princpaute Paris, 1970 P. 476.

(١٥) وهي ميناء مصر الى مكة والمدينة ويذكر أنها ضربت في القرن الخامس، وأنشأ التجار بلدة جديدة في مكان القلزم وأختاروا لها أسم السويس لتكون مرفأ لمصر على البحر الأحمر، الحموى: معجم البلدان (بيروت ١٩٥٧)، ٣٨٧/٤ ـ ٣٨٨.

(١٦) حسن أبراهيم حسن: تأريخ الإسلام (القاهرة ١٩٦٥) ٣/ ٣٢٩، توفيق سلطان اليوزبكي: تأريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي (الموصل ١٩٧٥)، ص٨٠ ـ ٨١.

(١٧) بلدة تقع على ساحل البحر الأحمر، وهي المنصورة أبن الصعيد في مصر، وتعد من البر المركز التجاري في ذلك العصر، الحموى: معجم البلدان ١٧١/٤.

(١٨) بلد مشهور على الساحل قرب عيذاب يرفأ اليه السفن القادمة من جدة، معجم البلدان ٣ / ٢٧٦.

(١٩) محمد كريم: عدن ـ دراسة في أحوالها السياسية والإقتصادية ـ رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٨١، ص٧٩.

(٢٠) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام ٤/ ٤٠٧.

(٢١) آرنست باركر: الحروب الصليبية، ترجمة: الياز العريني (بيروت ١٩٦٧)، ص٩٧.

(٢٢) رنسيمان: تاريخ الحروب، ٢/١٦٠.

(٢٣) يوسف حسن غوانمة: أمارة الكرك الأيوبية (عمان ١٩٨٢)، ص٦٣.

(٢٤) وردت تسميتها في المصادر العربية بأسم فاران أو تاران، ويبدو أن هذه التسمية لها علاقة بفراعنة مصر القدماء، وكانت بمثابة نقطة حدودية بالنسبة لفراعنة مصر. وعلق عنها ابن جبير بقوله: " وللأفرنج فيها حصن مندوب يمنع من سلوكه، رحلة ابن جبير، ص٤٩ ـ ٥٠، المقريزي: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار (القاهرة١٢٧٠هـ)، ١/ ٢١٣، الحموى: معجم البلدان ٦/٢.

(٢٥) رنسيمان: تأريخ الحروب، ٢/١٦٠.

(٢٦) D. Newbold, " The crusaders in the red sea and the sudan " Sudan Notes and Re cords, 1949 Vol. 26 P.215.

(٢٧) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين (مصر١٢٨٨هـ) ٢/٣٧، ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمود زايد (بيروت ١٩٧١)، ص١٩٥.

(٢٨) نظير حسان سعداوي: التأريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي (القاهرة ١٩٥٧) ص٢٤، أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم: تأريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام (بيروت ١٩٨١)، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣، دريد عبد القادر: سياسة صلاح الدين الأيوبي (بغداد ١٩٧٩)، ص٤٦٣ ـ ٤٦٤.

(٢٩) أبن الأثير: الكامل ١١/٣٦٥.

(٣٠) أبو شامة: الروضتين ١/ ١٩١.

(٣١) سعداوي: التأريخ الحربي، ص٤٣، يوسف حسن درويش غوانمة: أمارة الكرك الأيوبية (عمان ١٩٨٢) ص١٠٨.

(٣٢) دريد عبد القادر: سياسة صلاح الدين، ص١٢٨ ـ ١٢٩.

(٣٣) لمزيد من المعلومات عن هذه الشخصية، ينظر: رنسيمان: تأريخ الحروب الصليبية ٢/٥٥٧ ـ ٥٦١، ٥٧٧ ـ ٧٨:، هارولد لامب: شعلة الإسلام، ترجمة: عبد الله يعقوب (بغداد ١٩٦٧)، ص٩٤ ـ ٩٥.

(٣٤) الروضتين ٢/ ١٧٥.

(٣٥) يوسف حسن درويش غوانمة: أمارة الكرك الأيوبية (عمان ١٩٨٢)، ص١١٧.

(٣٦) عبد الله سعيد محمد الغامدى: صلاح الدين والصليبيون (بيروت ١٩٨٥)، ص١٦٧.

(٣٧) عاشور: الحركة الصليبية ٢/ ٧٧٠.

(٣٨) أبو شامة: الروضتين ٢/ ٢٣.

(٣٩) ابن الأثير: الكامل ٤٧/١١، ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٥٧)، ١٠١/٢ ـ ١٠٢، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : محمد مصطفى زيادة.

(٤٠) البرق الشامي، تحقيق: فالح صالح حسين (عمان ١٩٨٧) ، ٥/ ٧٣.

(٤١) نفس المصدر، ص٧٢، أبو شامة: الروضتين ٢/ ٣٥.

(٤٢) ابن جبير: ابن جبير (بيروت١٩٨١)، ص٣١، أبو شامة: الروضتين ٢/ ٣٥.

(٤٣) New bold OP.Cit P.220,

(٤٤) التأريخ الإسلامي المختصر، تحقيق: جزيل الجومرد، رسالة دكتوراه (أسكوتلندا ١٩٨٤)، ص٤٩٨.

(٤٥) العماد الأصفهاني: سنا البرق، ص٧٢. New bold OP. Cit P.221

(٤٦) العماد الأصفهاني: البرق الشامي ٦٩/٥ ـ ٧٤، ابن الأثير: الكامل ٤٩٠/١١ ـ ٤٩١، أبو شامة: الروضتين ٢/ ٣٧.

(٤٧) ابن جبير: رحلته، ص ٣١، القريزي: السلوك ١/ ٧٩.

(٤٨) ابن جبير : رحلته، ص ٣١ ـ ٣٢، العماد الأصفهاني ٧٤/٥، ابن واصل : مفرج الكروب ٢/ ١٢٧ ـ ١٣١.

(٤٩) العماد الأصفهاني: سنا البرق ٥/ ٧٣، أبو شامة: الروضتين ٢/ ٣٧، المقريزي: السلوك ١/ ٧٩.

(٥٠) ابن الأثير: الكامل ١١/ ٤٩٠، ابن واصل: مفرج الكروب ٢/ ١٣٠، أبو شامة: الروضتين ٢/ ٣٧.

(٥١) New bold OP.Cit P.222.

(٥٢) ابن جبير: رحلته، ص٣٢، ابن العديم: زبدة الحلب في تأريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان (دمشق ١٩٦٨)، ٩٦/٣.

(٥٣) ابن جبير: رحلته، ص٣٢، ابن الأثير: الكامل ١١/ ٤٩٠، أبو شامة: الروضتين ٢/ ٣٥، المقريزي: السلوك ١/ ٧٩.

(٥٤) ابن واصل: مفرج الكروب ٢/ ١٣، أبو شامة: الروضتين ٢/ ٣٧، المقريزي: السلوك ١/ ٧٩.

(٥٥) أبو شامة: الروضتين ٢/ ٣٧.

(٥٦) واد على عشرة أيام من الجحفة فيها بين الإيواء والجحفة وساحل الحوراء، تقع الى شمال جدة على طريق المدينة، الحموى: معجم البلدان ٢٧/ ٧٢٧، غوانمة: أمارة الكرك، هامش ١١٩، ص١٣٣.

(٥٧) مرفأ سفن مصر الى المدينة، الحموى: معجم البلدان ٢/ ٣١٦.

(٥٨) مجموعة دينية عسكرية ظهرت سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م في القدس تذرت نفسها لحماية الحجاج المسيحيين القادمين الى القدس وحصلوا من الملك بلدوين الثاني على مسكن لهم بالقرب من هيكل سليمان ومن هنا جاءت تسميتهم بفرسان المعبد، ساهموا بشكل واضح في الحروب التي خاضتها الصليبيون ضد المسلمين وكان شعارهم الصليب الأحمر، رنسيمان: تأريخ الحروب ٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٥٩) العماد الأصفهاني: سنا البرق ٥/ ٧٤ ـ ٧٥، ابن الأثير: الكامل ١١/ ٤٩١، أبن واصل: مفرج الكروب ٢/ ١٣١.

(٦٠) New bold, Op.Cit 224.

(٦١) أبن واصل: مفرج الكروب ٢/ ١١٨، أبو شامة: الروضتين ٢/ ٣٧، المقريزي: السلوك ١/ ٧٩.

(٦٢) سبط أبن الجوزى: مرآة الزمان (حيدر أباد ١٩٥٠)، ٨/ ٣٦٩، لامب: شعلة الإسلام، ص٩٦.

(٦٣) سخاوي: التأريخ الحربي، ص١٤١.

(٦٤) أبن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (القاهرة ١٩٦٤)، ص٢٢٩، سبط أبن الجوزى ٨/ ٣٦٩، أبو المحاسن بهاء الدين بن رافع الأسدي، أبو شامة: الروضتين ٢/ ٣٧.

(٦٥) العماد الأصفهاني: سنا البرق ٥/ ٧٣، أبن الأثير: الكامل ١١/ ٤٩١، أبو شامة: الروضتين ٢/ ٣٥.

(٦٦) غوانمة : أمارة الكرك، ص ٣٠.

(٦٧) رحلته، ص٣١.

(٦٨) سنا البرق ٥/ ٧٣، أبو شامة: الروضتين ٢/ ٣٦.

(٦٩) أحمد دراج: عيذاب من الثغور العربية المندثرة، مجلة المؤرخ العربي، ع٧، (بغداد بلا سنة طبع)، ص٦٠.

(٧٠) Goitein, S.d Studies Islamic History and in stitutions Leiden 1966 P. 298.

(٧١) عاشور: الحركة الصليبية ٢/ ٧٨٨.

(٧٢) عاشور: الحركة الصليبية ٢/ ٩٦٢ ـ ٩٦٣.

(٧٣) باركر: الحروب الصليبية، ص٩٧٠.

(٧٤) عاشور: الحركة الصليبية ٢/ ١١٩٩، الكناني: العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى، ص٢٨٣، ٣٦٢ ـ ٣٦٦.

(٧٥) قاسم عبدة: ماهية الحروب الصليبية، ص٢١٧ ـ ٢١٨.

(٧٦) عاشور: الحركة الصليبية ٢/ ١١٩٩ ـ ١٢٠١، حياة ناصر الحجي: العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الأسبانية (الكويت ١٩٨٠)، ص٣٥٤.

(٧٧) باركر: الحروب الصليبية، ص١٣٦.

(٧٨) عاشور: الحركة الصليبية ٢/ ١٢٠٧، ترفيق اليوزبكي: تجارة مصر البحرية، ص٤٣.

(٧٩) فتحي غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ (القاهرة بلا سنة طبع) ص١١٩.

(٨٠) رانسيمان: تأريخ الحروب ٢/ ٦٨١ ـ ٦٨٢، عاشور: الحركة الصليبية ٢/ ١٢٠٩.

(٨١) عاشور: الحركة الصليبية ٢/ ١٢٠٩.

(٨٢) عاشور: الحركة الصليبية ٢/ ١٢١٢ ، اليوزبكي: تجارة مصر، ص٤٤.

(٨٣) عاشور: الحركة الصليبية ٢/ ١٢٠٩ ـ ١٢١٠.

(٨٤) المقريزي: الألمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (ليدن ١٧٩٠)، ص٤، عاشور: الحركة الصليبية ٢/ ١٢٦٠.

(٨٥) السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن (القاهرة ١٩٧٤)، ~~~~~~~~~.

(٨٦) الحروب الصليبية، ص١٤١، جمال حمدان: أستراتيجية الأستعمار والتحرير (بيروت ١٩٨٣)، ص٥٤.

(٨٧) سعد زغلول عبد ربه: البرتغاليون والبحر الأحمر، مجلة الدارة، ع٢، (الرياض ١٩٨٨)، ص١٠٩ ـ ١١٠.

(٨٨) سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى (القاهرة ١٩٧٢)، ص٥٧٢.

(٨٩) سعد زغلول: البرتغاليون والبحر الأحمر، ص١١١.

(٩٠) أبن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى (القاهرة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣) ، ٥/٢٠٣.

(٩١) للمزيد من المعلومات عن دور المماليك ومواجهة البرتغاليين، ينظر: أبن أياس: بدائع الزهور ٤/ ٨٤ ـ ٨٥، العبادي: تأريخ البحرية الإسلامية، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧، نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (القاهرة ١٩٧٣)، ص٣٠ ـ ٣١.

(٩٢) أحمد دراج: المماليك والفرنج في القرن الخامس (القاهرة ١٩٦١)، ص١٣٧.